الفصل السادس

الحركات السياسية والفكرية فى العالم العربى
بين فكرة الجامعة الاسلامية وحركة التتريك

- محاولات السلطان عبد الحميد استخدام الرابطه الدينية فى مواجهة اعدائه .
- سكة حديد الحجاز .
- فكرة الجامعة الاسلامية بين الأفغانى وعبد الحميد .
- الكواكبى والدعوة إلى انتقال الزعامة للعرب .
- الجمعيات السرية ودورها فى الدعوة للحركة العربية .
- الثورة العربية الكبرى وأحوال العرب السياسية خلالها .
- اتفاقية سايكس بيكو .
- تصريح بالفور .
- احوال العالم العربى خلال الحرب العالمية الأولى وفى اعقابها .
- العرب ومؤتمر الصلح في باريس .

بعد تفاقم الاعتداءات الأوربية على العالم العربى منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى، وتسابق الدول الاستعمارية فى السيطرة عليه، شعر المسلمون بمدى الخطر الذى يحيق ببلادهم، ورأوا ضرورة جمع كلمتهم فى شتى بقاع الأرض للوقوف فى وجه أعداء الاسلام ومن ثم استيقظت لديهم فكرة احياء الوحدة الاسلامية الكبرى لتوحيد الجهود فى مواجهة الاستعمار فنشأت فكرة الجامعة الاسلامية.

لقد كان مبعث ولاء المسلمين للسلطنة العثمانية دينيا حيث كانوا مكلفين شرعا بطاعة السلطان العثمانى باعتباره الخليفة والأب الروحى للمسلمين [1] خاصة وان الفكرة المتسلطة على العقول فى ذلك الوقت كانت تقتضى ضرورة طاعة السلطان " حيث له عليهم الولاية العامة والطاعة التامة والسلطان الشامل، وله حق القيام على دينهم، فيقيم فيهم حدوده وينفذ شرائعه، وله بالأولى حق القيام على شئون دنياهم أيضا " ولم يكن هناك ما يسمى جنسية عربية، فكلمة عثمانى كانت تنطق على كل من يقطن البلاد العثمانية ومنها البلاد العربية [2] .

ونظرا لتأزم الأمور فى العالم العربى رأى السلطان عبد الحميد أهمية استخدام الرابطة الدينية لمقاومة معارضيه فى الداخل ومواجهة أعداء الاسلام فى الخارج وذلك بابراز السمات الدينية لمنصبه بصفته خليفة للمسلمين وبغرض تسخير قوة الدين لغاياته السياسية وحتى يضمن التفاف العالم العربى حوله، وجمع كافة الشعوب الاسلامية بما فى ذلك الشعوب الخاضعة للاستعمار الأوربى وخاصة أهالى شمال افريقية الخاضعين لفرنسا، ومسلمى الهند الخاضعين لبريطانيا وغيرهم [3] ونتيجة لذلك حاول السلطان عبد الحميد كسب ود القوميات المختلفة داخل السلطنة العثمانية وخاصة العرب فاغدق بالعديد من المناصب ومظاهر التكريم على بعض الشخصيات العربية، وانفق الأموال الطائلة على اصلاح وتزيين المساجد فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، ولكى يزيد من سيطرته على الأراضى المقدسة عين وال على الحجاز من قبله بقصد اخضاع هذه البلاد لحكمه المباشر، وسارع فى الاعلان أن سلطته الزمنية تستند إلى سلطته الدينية فهو ظل الله فى الارض وأمير المؤمنين، وخادم الحرمين يضاف إلى ذلك أنه حاول اقناع الرأى العام الاسلامى أن الخلافة والسلطنة متكاملتان حتى إذا ما استعادت الخلافة مكانها اللائق بها عمد إلى تسخيرها لتكون قوة دافعة لتحقيق أغراضه السياسية .

ولكى يجذب السلطان عبد الحميد قلوب عامة المسلمين اليه احاط حياته الخاصة باطار من التقى والتقشف، كما احاط نفسه برهط من الفقهاء ورجال الدين الذين يتمتعون بشهرة واسعة بين ابناء المسلمين كما أخذ فى التقرب من العرب بشكل واضح فأدخل بعضهم فى خدمته الخاصة، وشكل فرقه مختارة منهم ضمها إلى حرسه الخاص كما وضع بعضهم فى مراكز بارزة من السلطنة مثل عزت باشا العابد السورى الذى صار من سكرتارية السلطان [4]، وابى الهدى الصيادى الذى كان من اشد المقربين اليه والسؤال المطروح هو: لماذا قرب السلطان عبد الحميد العرب بالذات اليه اثناء دعوته لفكرة الجامعة الاسلامية ؟

---

[1] عن انتقال الخلافة لآل عثمان انظر. محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربى ص١٢

[2] عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، ١٩٨٠ص٢٣١

[3] Antonius,G:the Arab Awakening ١٩٣٨ P .٧٥

[4] منسى: المرجع السابق ص٧٤

الواقع ان السلطان عبد الحميد كان يعى قيمة العرب فى مساندته لدعوتهم خصوصا وأن منهم رسول الله، وفيهم نزلت الرسالة وبلغت للناس أجمعين وإلى جانب ذلك فقد اهتم السلطان عبد الحميد بأمور الحج فدفع شريف مكة لنشر دعوته بين الحجاج كما اهتم بمشروع خط سكة حديد الحجاز الذى يمتد من دمشق إلى المدينة فمكة، وذلك بهدف تسهيل أمور الحجاج ظاهرا، ولرغبته فى رفع مكانته كخليفة فى العالم الاسلامى كله بينما كان السبب الحقيقى يتعلق بالعديد من العوامل السياسية والعسكريةخاصة وانه يمكنه من نقل قواته إلى شبه الجزيرة العربية راسا مما يسهل له تقوية قبضته عليها وتشديد سيطرته خاصة على الحجاز واليمن .

ولأجل تنفيذ هذا المشروع عين السلطان لجنة برئاسة عزت باشا العابد، كما وجه نداء إلى العالم الاسلامى يوضح فيه فكرة مد هذا الخط الحديدى، ويطلب من المسلمين الاكتتاب لتغطية نفقاته .

وقد جذب هذا المشروع انظار العرب، وأثار حماسا كبيرا فى مختلف جهات العالم الاسلامى فانهالت التبرعات من كل مكان لانشاء هذا الخط حتى وصل ماقدمه ابناء العالم الاسلامى من هبات للمشروع ثلاثه ملايين من الجنيهات التركية أى ما يوازى ثلث التكاليف. وقد قام المهندسون الألمان فى عام ١٩٠١ وبتشجيع من السلطان ببناء هذا الخط الحديدى الممتد من دمشق، وقد انتهى العمل فيه فى عام ١٩٠٨ عندما امتد إلى المدينة المنورة [١] ولكنه سرعان ما توقف نشاطه بسبب قيام الحرب العالمية الأولى ونسف الانجليز لجزء كبير منه .

ونتيجة للحماس الاسلامى لهذا المشروع وتأييد عامة المسلمين للخلافة شعر السلطان عبد الجميد بالارتياح وقد ظل معظم زعماء المسلمين على ولائهم للدولة العثمانية باعتبارها دولة الاسلام الكبرى التى تظل المسلمين بظلالها، ولم يفكروا فى الانفصال عنها، بل كان جل ما يسعون اليه هو ادخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية فى نظام الدولة حتى تتمكن من النهوض والتقدم فى مواجهة الأطماع الاستعمارية .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو: هل كان السلطان عبد الحميد أول الداعين إلى فكرة الجامعة الاسلامية؟الواقع انه قبيل اعتلاء عبد الحميد العرش بسنوات قام جمال الدين الأفغانى بالدعوة إلى الجامعة الاسلامية بهدف أن يرتفع بالشعوب الاسلامية إلى مستوى الأمم الحرة الناهضة وأن يعمل على تحرير الشرق من سيطرة الغرب الأوربى ونظرا لأهمية الدور الذى قام به فى الدعوة إلى الجامعة الاسلامية فاننا سنقوم بالتعريف به وبأهم اعماله .

تتضارب الروايات حول مولد جمال الدين فمنها من قال أنه افغانى مولود فى افغاستان، ومنها من قال انه فارسى مولود فى همدان .

والواقع أن كل من تقرب من جمال الدين عرف انه من أفغاستان، وأن مولده كان فى أسد اباد عام ١٢٥٤هـ الموافق ١٨٣٨م [٢]، وانه عندما شرع السلطان عبد الحميد فى الدعوة إلى سياسته الاسلامية كان الافغانى فى أوجه نشاطه يتنقل بين أوربا وفارس وتركيا لدعوة المسلمين إلى التكاتف والتآزر فى مواجهة اعداء الأمة الاسلامية .

وحركة الجامعة الاسلامية التى دعا اليها الافغانى هدفت إلى وقف الزحف الاستعمارى عن طريق تنظيم الحكومات الاسلامية القائمة، وادخال الأفكار والنظم الغربية التى تساعد على التطور ثم توحيد

---

[١] توفيق برو : المرجع السابق ص٤٥.

[٢] لوثروب ستودارد: حاضر العالم الاسلامى، المجلد الأول الطبعة الرابعة ١٩٧٣م ص٢٨٩

صفوف المسلمين لمواجهة التيار الاستعمارى الزاحف وإلى جانب ذلك فقد نادى الافغانى بتقوية الروابط بين البلدان الاسلامية، واقامة العدل والشورى والتمسك بهدى القرآن، كما اقترح انشاء حلف اسلامى تتزعمه الدولة العثمانية، وكانت خطته تتضمن تحويل الامبراطورية العثمانية إلى مملكة الممالك بتنظيمها على أساس لامركزى، ومن أجل ذلك طالب الافغانى السلطان عبد الحميد بتحويل الولايات العثمانية إلى خديويات كما كان متبعا فى مصر حتى تقوى الروابط فيما بينها ، ويؤدى ذلك إلى انضمام بلدان مثل ايران وافغانستان والامارات الاسلامية فى الهند إلى الامبراطورية العثمانية فى شكلها الجديد وبذلك يمكن حماية بلاد المسلمين من سيطرة الغرب المسيحى [1] .

ولترويج فكرة الجامعة الاسلامية انشأ الافغانى فى باريس جريدة العروة الوثقى فى عام ١٨٨٤ وكتب فيها العديد من المقالات التى تدعو إلى اتحاد المسلمين، وضرورة جمع كلمتهم منها مقال عنوانه"الجنسية والديانة الاسلامية" الذى دعا فيه الافغانى إلى ضرورة التأثر بحياة المسلمين الأوائل وسيرة السلف الصالح بقوله "هذا ما ارشدتنا اليه سير المسلمين من نشأة دينهم إلى الآن، لايعتدون برابطة الشعوب وعصبيات الأجناس، وانما ينظرون إلى جامعة الدين، لهذا ترى العربى لا ينفر من سلطة التركى، والفارسى يقبل سيادة العربى، والهندى يذعن لرياسة الأفغانى، ولا اشمئزاز عند أحد منهم، ولا انقباض،وان المسلم فى تبدل حكوماته لا يأنف ولا يستنكر ما يعرض عليه فى أشكالها وانتقالها من قبيل إلى قبيل مادام صاحب الحكم حافظا بشأن الشريعة [2] " .

وأوضح الأفغانى أن رابطة الدين هى الرابطة القومية التى يتمسك بها المسلمون فقال "علمنا وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا فى دينهم واعتقادهم" كما طالب المسلمين بالتمسك برابطة الدين بقوله" اعتصموا بحبال الرابطة الدينية التى هى أحكم رابطة اجتمع فيها العربى بالتركى، والفارسى بالهندى ، والمصرى بالمغربى، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتى أن الرجل منهم ليتألم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر، وان تناءت دياره وتقاصت أقطاره هذه صلة من أمتن الصلات ساقها الله اليكم، وفيها عزتكم ومنعتكم وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها [3] .

وعلى كل حال فانه ما كاد السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى يبدأ الدعوة إلى الجامعة الاسلامية حتى وجد التأييد والعون من الأفغانى الذى كان يرى ضرورة توحيد العالم الاسلامى تحت حكم خليفة واحد، ولايهتم بجنس ذلك الخليفة سواء أكان تركيا أم افغانيا أم عربيا، ولكن ذلك العون لم يستمر طويلا خاصة بعد أن اتضح أن افكار كل منهما تسير فى مسار يخالف مسار أفكار الآخر ففى حين كان الافغانى يسعى إلى العثور على حاكم مسلم يستطيع عن طريقه تجديد العالم الاسلامى، وهذا ما جعله يتطلع إلى السلطان العثمانى لمحاولة استخدام نفوذه فى سبيل خدمة الاسلام كان السلطان عبد الحميد – على العكس – تراوده الآمال فى استخدام الأفغانى وافكاره عن الجامعة الاسلامية فى جمع شتات المسلمين حول عرشه تحقيقا لمصالحه وللمحافظة على سلطانه، وإلى جانب ذلك فان الأفغانى فى دفاعه عن الاسلام كان ينادى بجعل اللغة العربية هى اللغة الاولى فى الدولة العثمانية، خاصة وان اللسان العربى هو لسان الدين، ويدفعه ذلك إلى حد المطالبة بتعرب الدولة العثمانية لانها لو تعربت وانتفى من بين الامتين النعرة القومية، وزال داعى

---

[1] منسى: المرجع السابق ص٧١-٧٢

[2] جمال الدين الافغانى ومحمد عبده: العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى.مقال بعنوان "الجنسية والديانة الاسلامية"

[3] العروة الوثقى: مقال التعصب

النفور والانقسام بين التركى والعربى، وصاروا أمة عربية بكل ما فى اللسان من معنى ومافى الدين الاسلامى من عدل ومافى سيرة أفاضل العرب من اخلاق وفى مكارمهم من عادات لكان اعادة عصر الرشيد للمسلمين ميسورا

ونتيجة لذلك بدأ السلطان عبد الحميد يشك فى نوايا الأفغانى ، ويخشى أن يكون هدفه العمل على استقلال البلاد العربية عن السلطنة العثمانية [1]

وعلى أى حال فقد كان السلطان عبد الحميد يشعر بالارتياح لأن ابناء العالم العربى فى ذلك الوقت كانوا يميلون إلى تأييد الخلافة على أساس أن فى ذلك تأييدا للاسلام، ووقوفا فى وجه الأطماع الاستعمارية ولذلك فان اليقظة العربية التى برزت فى ذلك الوقت كان هدفها الرغبة فى الاصلاح فى ظل الدولة العثمانية دون التفكير -آنذاك -فى اقامة دولة عربية مستقلة [2] ولكن ذلك لم يستمر طويلا فسرعان ما ظهرت أفكار عبد الرحمن الكواكبى التى تدعو إلى الغاء حق السلطان العثمانى فى الخلافة وإلى المناداة بتنصيب خليفة ينتمى الى قريش وأن يكون مركزه مكة (ام القرى) وطالب بجمع كلمة المسلمين فى ظل هذه الخلافة، كما تخيل الكواكبى فى كتابه "ام القرى" أن اثنين وعشرين شخصا يمثلون علماء وفقهاء المسلمين فى اثنين وعشرين قطرا من الاقطار الاسلامية اجتمعوا فى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وبعد تبادل الآراء فيما بينهم فى أكثر من اثنتى عشر جلسة رسمية اتفقوا على تشكيل جمعية غايتها بعث الاسلام واعلاء كلمة الله. ثم اخذوا يرسمون خطط الاصلاح لاستعاده امجاد الأمة الاسلامية فى عصورها الزاهرة [3] ورأوا انشاء جمعية تحوز رضا الحكومات الاسلامية ويكون دورها النهوض "بالأمة من وهدة الجهالة والترقى بها فى مدارج المعارف [4] " .

وكان من الطبيعى أن تساعد الأفكار التى نادى بها الكواكبى على انتقال الزعامة إلى العرب فشكلت جمعيات عربية وضعت مناهج محددة هدفها حماية حقوق العرب، فشكل نجيب عازورى فى باريس عام ١٩٠٤ منظمة اطلق عليها رابطة الوطن العربى وكان هدف هذه المنظمه تخليص بلاد الشام والعراق من السيطرة العثمانية بمساندة فرنسا، وقد وضع عازورى افكاره فى كتاب اسماه " يقظة الأمة العربية .

والسؤال المطروح هو لماذا تزايدت فى هذا الوقت بالذات فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية، وبدأ صداها يتردد بسرعة بين ابناء الوطن العربى ؟

الواقع انه بعد نجاح جمعية الاتحاد والترقى فى السيطرة على زمام الأمور بالدولة العثمانية بدأ افرادها فى تبنى فكرة تمييز العنصر التركى على العنصر العربى، ومحاولاتهم القضاء على اللغة العربية لغة القرآن الكريم، واحلال اللغة التركية محلها، وابعادهم عن مقوماتهم الثقافية وروحهم العربية، يضاف إلى ذلك ان حكومة الاتحاديين كانت ترى ان تكون السيادة للعناصرالتركية على العرب [5] وترويج المصلحة التركية على المصلحة العربية، وتمجيد العنصر التركى ورفعه فوق العناصر الأخرى، مما أدى إلى ذعر العناصر العربية، ورفضها لفكرة الدعوة إلى الوحدة العثمانية التى طلب منها قبولها والاخلاص

---

[1] محمد عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ص٧٦

[2] منسى:المرجع السابق ص٧٦

[3] عبد الرحمن الكواكبى: أم القرى، وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الاسلامية المنعقد فى مكة المكرمة ١٣١٦هـ بيروت، دار الرائد العربى ص٧-٨.

[4] نفسه ص١٨

[5] عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربى ص٤٢٧

لها، والاندفاع نحو الفكرة العربية [1] خاصة بعد أن اتضح للعرب أن استمرار التعاون مع الاتحادين بات مستحيلا، وانه يجب عليهم اتخاذ الخطوات اللازمة للدفاع عن حقوقهم والمحافظة على مصالحهم.ونتيجة لذلك تشكلت الجمعيات السرية التى اعلنت معادتها للدولة العثمانية، وللاتحاديين كما تشكلت بعض الجمعيات والنوادى العلنية ذات البرامج المعتدلة وكانت هذه الجمعيات فى ظاهرها أدبية علمية، وفى باطنها سياسية تحررية ومن أهم هذه الجمعيات نذكر :

١- جمعية المنتدى الأدبى :

أسست فى الآستانة فى صيف عام ١٩٠٩ من بعض الموظفين والمبعوثين والكتاب والطلاب وكانوا فى معظمهم من السوريين وكانت مركزا يلتقى فيه العرب من زوار العاصمة والمقيمين فيها، وقد تمتعت هذه الجمعية بنفوذ سياسى كبير ، وانحصرت مساهمتها فى تنمية الدعوة للحركة العربية وتوسيع مداها، كما كان لها فروعا مختلفة فى بلاد الشام والعراق هذا إلى جانب نشاطها فى القاهرة. وظلت هذه الجمعيه تزاول انشطتها حتى اغلقتها الحكومة التركية فى عام ١٩١٥ [2] .

٢- حزب اللامركزية الادارية العثمانية :

تأسس فى عام ١٩١٢ بالقاهرة بهدف اقامة نظام لامركزى فى الولايات العربية داخل اطار الدولة العثمانية وتعبئة الرأى العام العربى لتأييد هذا المطلب. وقد كان لهذا الحزب فروعا فى معظم بلاد الشام. ولم يمض عام على تأسيس هذا الحزب حتى أصبحت لجنته تنطق بلسان العرب وتعرب عن أمانيهم [3]

٣- الجمعية القحطانية :

جمعية سرية انشئت فى عام ١٩٠٩، واشترك فى تأسيسها عزيز المصرى، وبعض الضباط العرب، وكان هدف القائمين عليها تحويل الامبراطورية العثمانية إلى دولة ثنائية بحيث تتكون من الأقاليم العربية دولة واحدة لها برلمانها، وحكومتها المحلية، ولغتها العربية يتولى حكمها السلطان العثمانى إلى جانب حكمه للدولة التركية وظلت هذه الجمعية تزاول نشاطها السرى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى [4] .

٤- جمعية العربية الفتاة :

تأسست هذه الجمعية على أيدى الطلبة العرب فى باريس عام ١٩١١ ثم انتقلت إلى بيروت فى عام ١٩١٣ وبعد ذلك انتقلت إلى دمشق وبقيت بها حتى عام ١٩٢٠ تقريبا. وكان هدف هذه الجمعية فى بداية الأمر النهوض بالوطن العربى، وتمتعه بالحكم الذاتى فى ظل الدولة العثمانية ثم تغير هدفها بعد نشوب الحرب الأولى، وأصبح انشاء دولة عربية ذات سيادة وبعيدة عن النفوذ التركى [5] .

وإلى جانب هذه الجمعيات وجدت جمعيات أخرى محدودة الأهمية ابرزها جمعية "الجامعة العربية" التى انشأها محمد رشيد رضا صاحب المنار والذى كان يرى أهمية التعاون بين العرب والترك وجمعية

---

[1] انطونيوس: المرجع السابق ص١١٤

[2] أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى حـ١ ص٩

[3] انطونيوس: المرجع السابق ص١١٧-١١٨

[4] توفيق على برو : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى ١٩٠٨-١٩١٤ ص٣١٩ -٣٢٢

[5] أمين سعيد: المرجع السابق حـ١ ص٩

بيروت الاصلاحية التى تكونت فى أواخر ١٩١٢ وكانت اللامركزية هى الأساس الذى ارتكزت عليه مطالبها كما كان من بين مطالبها أن يكون تعيين الموظفين من أهالى البلاد الذين يعرفون العربية وجمعية العهد التى اسسها مجموعة من الضباط العرب برئاسة عزيز المصرى فى عام ١٩١٣ والتى كانت تهدف إلى إقامة مملكة ثنائية بمعنى الحصول على الاستقلال الداخلى للبلاد العربية فى ظل الخلافة العثمانية، ومع ذلك فان هذه الجمعية لم تنجح فى تحقيق اهدافها بسبب تعارض خطتها مع سياسة الاتحاديين الذين أمروا بالقبض على عزيز المصرى ومحاكمته مما أدى إلى غليان الشعور العربى ضد العثمانيين حتى صدر العفو عنه .

هذه كانت أهم الجمعيات التى ألفها الأحرار العرب بهدف ابراز الكيان العربى داخل الدولة العثمانية، ومن أجل توحيد الجهود بين هذه الجمعيات عقد المؤتمر العربى الأول فى عام ١٩١٣ بباريس واشترك فيه مندوبون عن كافة الجمعيات الوطنية العربية. وقد جاء فى الدعوة لعقد هذا المؤتمر أنه فى مقدمة الاسباب التى دعت الحاجة اليه حالة الفوضى والاضطراب التى شملت البلدان العربية نتيجة لانكار مطالبها، واعلن ان المسائل التى سيدور حولها البحث فى المؤتمر هى :

١- حقوق العرب فى الدولة العثمانية .

٢- ضرورة الاصلاح على اساس اللامركزية .

٣- الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .

وقد اكد المتحدثون رغبتهم فى المحافظة على كيان الدولة العثمانية شريطة الاعتراف بحقوق العرب السياسية .

ومع ذلك فان الاتحاديين حاولوا منع اقامة هذا المؤتمر باقناع الحكومة الفرنسية بعدم السماح بعقده فى أراضيها ولما عجزوا عن ذلك حاولوا تهدئه مشاعر العرب الثائرة باعطائهم بعض الوعود حول استخدام اللغه العربية كأداة للتعليم فى المدارس الابتدائية والثانوية ، واغرائهم ببعض الوظائف [1] أما بخصوص اللامركزية قد عارضتها حكومة الاتحاديين .

هذه كانت أحوال العالم العربى قبيل الحرب العالمية الأولى والتى اتسمت الحركة العربية خلالها بمحاولة التوفيق بين مطالبها وبين الولاء للدولة العثمانية ولكن سيطرة جمعية الاتحاد والترقى على زمام الأمور فى تركيا بعد خلع السلطان عبد الحميد ومحاولات الاتحاديين تتريك العرب واذابة قوميتهم داخل القومية التركيه والقضاء على اللغه العربية، واعتبار الاتراك سادة والعرب مسودين.كل هذه الأمور دفعت العرب إلى التفكير فى الانفصال عن الدولة العثمانية ومن هنا دخلت حركتهم فى طور جديد، وساعدهم على ذلك قيام الحرب العالمية الأولى، وانضمام الدولة العثمانية بجانب اعداء بريطانيا .

ونتيجة لذلك قام الاتراك بمحاولات عدة للقضاء على هذه الحركة، فساقوا زعمائها الى مجالسهم العرفية فى عالية لبنان، كما أصدروا حكم الاعدام على اكثرهم ونفذ الحكم فى ساحتى دمشق وبيروت العموميتين، كما ارسلت الدولة العثمانية الوالى جمال باشا إلى بلاد الشام الذى نشر جواسيسه لتتبع أخبار رجال الحركة العربية مما كان له اكبر الأثر على زيادة الغليان ضد الحكم التركى واصرار العرب على التخلص منه .

---

[1] أمين سعيد - المرجع السابق حـ١ص٣٨ - ٣٩.

الثورة العربية الكبرى واحوال العرب السياسية خلالها :

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ انضمت الدولة العثمانية إلى جانب دولتى الوسط (المانيا والنمسا) ضد دول الوفاق الثلاثى بريطانيا وفرنسا وروسيا ونتيجة لذلك رأت بريطانيا أن من مصلحتها الاستعانة بالعرب الساخطين على الحكم العثمانى، وتشجيعهم على الثورة ضد الاتراك والانضمام إلى جانب بريطانيا وحلفائها فى مقابل بعض الوعود البراقة خاصة وان موقف العرب أصبح مهما لاستراتيجية بريطانيا لأن الاتراك كانوا فى مركز يستطيعون به تهديد المصالح البريطانية فى قناة السويس ومنطقة الخليج العربى ولاسباب دينية وسياسية واستراتيجية وقع اختيار بريطانيا على الشريف حسن بن على أمير مكة الذى كان يتطلع لاقامة دولة عربية بمساعدة بريطانيا [١] ولكى تحقق بريطانيا أهدافها دخلت عن طريق معتمدها البريطانى فى القاهرة السير "هنرى مكاهون" فى مفاوضات سرية مع الشريف حسين الذى كانت تسيطر عليه فكرة انشاء دولة عربية كبرى، والذى كان بينه وبين الاتراك جفاء كبير، وقد كان للشريف حسين ثلاثه ابناء هم على وعبد الله وفيصل، وكان كل من هؤلاء الثلاثة ينشدون القضاء على نظام المركزية فى الدولة العثمانية، وحصول الحجاز على استقلال ذاتى تحت اشراف والدهم

ولما كان الأمير عبد الله ثانى انجال الشريف حسين نائبا عن مكة فى مجلس المبعوثان العثمانى، وعلى علاقات طيبة مع الخديو عباس الثانى [٢] فقد اعتاد أن يمر بالقاهرة فى غدوه إلى استنبول ورواحه منها. وحدث فى ربيع ١٩١٢ أن زار الأمير عبد الله القاهرة وحل ضيفا على الخديو وخلال ذلك زار المعتمد البريطانى اللورد كتشنر الخديو وتم التعارف بينه وبين الأمير وبعد انتهاء المقابلة لحق كتشنر بالأمير ومعه السير "رونالد ستورز" السكرتير الشرقى للقنصلية البريطانية. وقد روى الأمير عبد الله ذلك فى مذكراته بقوله "بعد وصولى إلى عابدين. جاءنى التشريفاتى على بك شاهين وقال اللورد كتشنرهنا وقد جاء لزيارتك، وكانت مباغته خفت عاقبتها على سياسة والدى مع الاتراك وبالطبع لم استطع رفض زيارة تكريمية [٣] ".

وبعد أن استقبل الأمير عبد الله اللورد كتشنر، ودار بينهما الحديث اعرب له كتشنر عن ارتياح الحكومة البريطانية لحالة الأمن فى الحجاز، وطلب منه ابلاغ والده بأن الحكومة البريطانية لا توافق على تغيير منصب امارة مكة، ولما حاول الأمير عبد الله معرفة موقف الحكومة البريطانية فى حالة وقوع صدام بين العرب والترك لم يجد ردا شافيا من كتشنر خاصة وانه رفض التورط فى خطة محددة لمساعدة الشريف حسين وبعد انصراف المندوب البريطانى حاول الخديو عباس الثانى اقناع الامير عبد الله بضرورة رد الزيارة لكتشنر [٤] وعلى الرغم من رغبة الأمير عبد الله فى رد الزيارة فقد استأذن أولا المندوب العثمانى بالقاهرة حتى لا يكون هناك مجالا للتاويل وبعد الموافقه زار الأمير عبد الله اللورد كتشنز فى مقره بالوكالة البريطانية ودارت الأحاديث بينهما حول شئون الحجاز، والعلاقة بين العثمانيين

---

[١] محمود منسى: وعد بلفور، القاهرة، دار الفكر العربى ص٦٨

[٢] عقد الأمير عبد الله علاقات صداقه مع الخديو عباس الثانى مد عام ١٩٠٩ عندما كان الخديو يؤدى فريضه الحج، فقد رافقه اثناء تواجده فى مكة، وتبودلت الزيارات بينهما لدرجه أن الأمير كان ينزل ضيفا على الخديو اثناء مروره بالقاهرة فى طريقه إلى استنبول.
سليمان موسى: الحركة العربية-سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤ص٦٦

[٣] مذكرات الملك عبد الله، عمان، منشورات مجلة الرائد الطبعة الثانية ص٩٩

[٤] مذكرات الملك عبد الله ص١٠٠

ووالده، ومدى محاولات الأتراك التدخل فى المسائل الدينيه، وعلى الرغم من أن هذه الزيارات لم تسفر عن نتائج محددة إلا أنها أوضحت للانجليز مدى اتساع الخلاف بين العرب والترك [1] .

ولما قامت الحرب الأولى فى اغسطس ١٩١٤ ترك كتشنر منصبه بالقاهرة وشغل منصب وزير الحربية البريطانية ومع ذلك لم يغب الموقف فى الشرق الأوسط عن خاطره، فابرق إلى "ستورز" للاتصال بالشريف حسين للتعرف على المعسكر الذى سينضم اليه العرب فى حالة دخول تركيا الحرب بجانب الألمان ومن ثم بدأت سلسلة الاتصالات بين الطرفين والسؤال المطروح هو لماذا كانت انجلترا شديدة الرغبة فى وقوف العرب بجانبها ؟

الواقع ان وقوف العرب بجانب بريطانيا ضد تركيا، يضطر الاتراك إلى حجز جزء من قواتهم العسكرية فى البلاد العربية بعيدا عن جبهات القتال الرئيسية، والى جانب ذلك فان قيام الثورة فى الجزيرة العربية يمكنه ان يفصل بين القوات العثمانية الرئيسية فى الشمال وبين القوات العثمانية فى جنوب الجزيرة خاصة فى اليمن وعسير يضاف الى ذلك أن المسلمين فى كافة انحاء العالم كانوا يدينون بالولاء للخلافة فى الدولة العثمانية، وان مركز الشرافه الدينى فى مكة يمكن أن يحول ولاء مسلمى الهند وغيرهم من الخلافة العثمانية الى الخلافة العربية، ومن الآستانه إلى مكة .

وعلى أى حال فقد أصبح مصير البلدان العربية بين شقى الرحى فهل يستغل العرب فرصة انشغال تركيا بالحرب ويثورون ضدها أم يقفون بجانبها ويحصلون على ثقتها الواقع ان الأمير فيصل كان من انصار الوقوف بجانب تركيا، وان السلامة كل السلامة فى التعاون مع الاتحاديين خاصة وان الاطماع الفرنسية فى سورية والانجليزية فى جنوب العراق كانت بادية للعيان على حين كان الأمير عبد الله يرى فى الثورة ضد الاتراك السبيل لتحقيق الأمانى العربية، ومن هنا حاول اقناع والده باستمرار المحادثات مع الانجليز، وخلال ذلك استقر رأى الشريف حسين على ضرورة كسب الوقت ومحاولة استطلاع آراء زعماء العرب فى شبه الجزيرة والشام للتعرف على مدى استعدادهم للثورة فجرت الاتصالات بين الشريف حسين وبين جيرانه العرب فاتصل بالادارسه فى عسير، وآل رشيد فى حائل وآل سعود فى الرياض والامام يحى بن حميد الدين فى اليمن، وخلال ذلك اكتشف ان الموقف فى شبه الجزيرة يشجع على الثورة [2] والى جانب ذلك فقد كانت هناك تيارات فى سوريا والعراق تدعو إلى الثورة ضد العثمانيين ونتيجة لذلك ارسل الشريف حسين ابنه فيصل لاجراءات الاتصالات مع الاحزاب العربية بالشام خاصة حزب العربية الفتاة والوقوف على وضع السوريين وحالتهم النفسية وقد حل الأمير فيصل ضيفا فى دمشق على "عطا الله باشا البكرى: الذى عقد "حزب العربية الفتاة" أول اجتماع فى بيته، وقد تأكد لفيصل فى هذا الاجتماع استعداد البلدان السورية للقيام بالثورة ضد الاتراك [3] كما اطلع اعضاء الحزب على نيه الثورة عند الشريف حسين وكانت نتيجة هذا الاجتماع التمهيدى الاتفاق بين الفريقين على القيام بثورة عامة فى وقت واحد تكون نتائجها انشاء دولة عربية كبرى تشمل الحجاز والعراق وسورية تحت لواء الشريف حسين [4] والى جانب ذلك فقد طلب زعماء جمعيتى العربية الفتاه والعهد من الأمير فيصل تسليم والده المخطط الذى يوضح

---

[1] سليمان موسى: مرجع سابق ص٦٧.

[2] من المعروف ان اليمن اعلنت ولاءها للعثمانيين.

[3] مذكرات الملك عبد الله ص١٤١

[4] فيصل بن الحسين فى خطبه واقواله ص٣٩-٤٠

حدود البلدان العربية فى آسيا والتى يجب أن يدور على اساسها الحوار مع الانجليز وقد عرفت هذه الافكار باسم "بروتوكول دمشق" وقد نص فيها على ان حدود البلاد العربية التى يجب أن تعترف بريطانيا باستقلال العرب فيها تتمثل فيما يلى :

فى الشمال من خط مرسين أطنه إلى خط عرض ٣٧شمالا، ومنه على طول الخط بيرجيك -أورفة - ماردين - مديات وجزيرة ابن عمر - عمادية حتى حدود فارس. وفى الشرق تتمثل فى الحدود مع ايران حتى الخليج، وفى الجنوب المحيط الهندى باستثناء عدن، وفى الغرب البحرين الأحمر والمتوسط حتى مرسين، والغاء الامتيازات الأجنبية، وعقد تحالف دفاعى بين بريطانيا والدول العربية المستقله ومنح بريطانيا الافضلية فى الشئون الاقتصادية وقد حمل الأمير فيصل هذه الشروط الى والده فى يونيو ١٩١٥، ولم تمر اسابيع قليلة حتى بدأت المراسلات المعروفة بمراسلات الحسين مكماهون، والتى هدف الانجليز من ورائها اشعال الثورة العربية ضد الاتراك وقد ارسل الشريف حسين مذكرته الى السير هنرى مكماهون فى ١٤يوليو ١٩١٥ موضحا المقترحات العربية ودارت الاتصالات بينها وقد قطعت بريطانيا على نفسها من خلالها وعدا بالعمل على استقلال البلدان العربية إلا أنها أعربت عن بعض التحفظات على هذه الحدود خاصة بالنسبة لمرسين والاسكندرونة واجزاء من بلاد الشام فذكرت أن لها مصالح فى جنوب العراق لاينبغى أهمالها كما أن لفرنسا مصالح فى بعض المناطق بسورية وفيما عدا ذلك فان بريطانيا على استعداد للاعتراف باستقلال العرب وتأييده وتقديم كافة المساعدات اللازمة لتحقيق ذلك ، .

وطالت المفاوضات بين الطرفين دون أن يتمكن الحسين من الحصول على ضمانات كافية من الانجليز .واستقر الامر على أن يقوم الشريف حسين بالثورة على الاتراك والانضمام إلى الانجليز وحلفائهم فى نظر أن تتعهد بريطانيا بسيادته على البلدان العربية من جبال طوروس شمالا حتى المحيط الهندى جنوبا ، وألا تعقد بريطانيا صلحا مالم يشمل شروطا تتضمن ذلك . ونتيجة لذلك بدأ الحسين يمهد للثورة على العثمانيين فأرسل ابنه فيصل إلى دمشق لاثارة الأهالى واشعال نار الثورة ضد الاتراك وذلك بناء على إشارة منه بعد أن يهيئ الأمر لاعلان ثورته فى الحجاز .

وقد حدد يوم السبت العاشر من يونيو ١٩١٦ موعدا لبدء الثورة فى مكة ، فاطلق الشريف حسين بنفسه فى ذلك اليوم الرصاصة الأولى على قلعة الاتراك فى مكة ايذانا باعلان الثورة ، وتمكنت قواته فى فترة وجيزة من تثبيت اقدامها فى الحجاز ، واجبار القوات التركية الموجودة هناك على الاستسلام باستثناء المدينة المنورة التى ظلت بها الحامية التركية حتى أواخر الحرب تقريبا وعلى الرغم من محاولات الاتراك استرجاع مكة المكرمة فانهم فشلوا فى ذلك .

وقد شرح الحسين موقفه فى بيانه الأول الذى ناشد فيه المسلمين جميعا بالثورة على الاتراك مستندا فى ذلك إلى العاملين القومى والدينى فندد بارهاب الاتحاديين وتعليقهم المشانق فى بلاد الشام كما هاجمهم لخروجهم على الاسلام وبذلك عطل الدعوة إلى الجهاد التى اذاعها الاتراك فى البلاد العربية ، كما ناشد الشريف حسين العرب بمساندة القوات البريطانية فى مجهوداتها بحجة أنها تعمل على تحرير بلادهم من الحكم التركى [1] .

وبايعاز من الشريف حسين نفسه نودى به ملكا على البلاد العربية فى ٢ نوفمبر ١٩١٦ ، ولكن الحلفاء لم يعترفوا له بهذه الصفة ، بل اعترفوا به ملكا على الحجاز فقط حتى لايتعرضوا لغضب أمراء

---

[1] انطونيوس : المرجع السابق ص ٢٣٢ ، ٢٥١ .

العرب الآخرين .

وعلى أى حال فقد نجح فيصل بن الحسين فى اعداد قواته للقتال ، واجتذاب العديد من القبائل اليه مما مكنه من نسف سكة حديد الحجاز بين معان والعقبة واحتلال ينبع والزحف شمالا والاستيلاء على العقبة ثم التقدم شمالا لمحاربة الاتراك فى منطقة شرق الاردن وبذلك قدم للحلفاء مساعدات هامة . هذا فى الوقت الذى تمكن فيه الانجليز من دخول العراق ، ونجاح اللورد اللنبى فى احتلال القدس ثم دخول القوات العربية منتصرة إلى دمشق فى أول اكتوبر ١٩١٨ ورفع اعلامها فوق اسوار مبانيها الجكومية وذلك قبل دخول القوات البريطانية بقيادة اللنبى اليها ثم زحفها شمالا والاشتباك مع الاتراك ، ونجاحها فى دخول حمص وحلب وحماه ، وتخليص كل البلاد السورية فى الحكم العثمانى .

اتفاقية سايكس بيكو :-

وفى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا تفاوض العرب طالبة معونتهم لها فى مقابل مساعدتها لهم فى الحصول على استقلالهم كانت تتبع فى ذلك الوقت سياسة ذات وجه آخر حيث كانت تخطط مع فرنسا وروسيا لاقتسام أملاك الدولة العثمانية واستعمارها حيث أعد المفاوض البريطانى " مارك سايكس " Mark Sykes عضو مجلس العموم والذى اشتهر بتضلعه فى شئون الشرق ورحلاته فى معظم انحاء الدولةالعثمانية - والمفاوض الفرنسى " جورج بيكو " - الذى كان قنصلا عاما لدولته فى بيروت خلال الاعوام التى سبقت الحرب - مشروعا حددا فيه مصير الممتلكات العثمانية فى آسيا والمناطق التى تعتبرها كل من الدولتين منطقة نفوذ لها . ولما كانت لهذه التسوية أهمية مباشرة لروسيا فقد انتقل سايكس وبيكو إلى بتروجراد فى مارس ١٩١٦ للحصول على موافقة الحكومة الروسية [١] .

وقد انتهت هذه المباحثات بتلك الاتفاقية المعروفة باسم اتفاقية سايكس بيكو أو الاتفاقية السرية الانجليزية الفرنسية الروسية ، والتى تنص على تحديد المناطق العثمانية التى تعتبرها كل من هذه الدول الثلاث منطقة نفوذ خاصة بها وتضمنت مايلى :-

١- استعداد بريطانيا وفرنسا للاعتراف بدولة عربية مستقلة تشمل بعض مناطق العراق وشرق الاردن وقطاع دمشق أو اتحاد من الدول العربية يؤلف من الاراضى الداخلية بين العراق والشام بحيث يكون الأفضلية للدولة صاحبة العلاقة بها فى النواحى الاقتصادية .

٢- تحصل فرنسا على القسطنطنية والأراضى الواقعة حول البسفور وجزء من شرق الأناضول بجوار الحدود الروسية .

٣- تحصل فرنسا على سورية ولبنان مع جزء كبير من جنوب الاناضول بما فى ذلك ولاية " أطنه " " ومرسين " " والاسكندرونة " هذا بالاضافة إلى منطقة الموصل فى شمال العراق .

٤- تحصل بريطانيا على المنطقة الممتدة من شرق الاردن حتى العراق حيث تدخل بغداد والبصرة ، وجميع البلاد الواقعة بين منطقة الخليج ضمن مناطق نفوذها كما تحصل على ميناءى حيفا وعكا فى فلسطين .

٥- تنشأ ادارة دولية فى فلسطين يحدد شكلها بالاتفاق مع ممثلى الحلفاء وممثلو شرق مكة [٢]

---

[١] مصطفى ماهر وكمال رضوان : المانيا والعالم العربى بيروت ١٩٧٤ .

[٢] منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ص ٣٥٠ .

وبمراجعة نصوص هذه الاتفاقية يتضح مايلى :-

١- ان اتفاق سايكس بيكو جاء مناقضا تماما لاتفاق الحسين مكماهون مما يؤكد ازدواجية السياسة البريطانية والتوائها.

٢- ان هذا الاتفاق كان بمثابة وثيقة وليدة للأطماع الاستعمارية فى أبشع صورها ، كما أنه كان مثالا بارزا للمخاتلة ونكث العهود .

٣- ان هذا الاتفاق قسم منطقة الشرق العربى الأسيوى بطريقة تهدف إلى اقامة العقبات فى طريق وحدته كما انه وضع المناطق الأكثر رخاء وتقدما فى سورية والعراق تحت السيطرة الأجنبية ، بينما سمح للمناطق الداخلية فقط بأن يقام فيها دولة عربية تتمتع بقدر من الحكم الذاتى .

والغريب فى الأمر أن العرب لم يعلموا بأمر هذه الاتفاقية عند توقيعها بل ظلت سرية حتى قامت الثورة البلشفية فى روسيا ، ونشرت جريدتا الأوزفستيا والبرافدا نصوص هذه الاتفاقية فى ٢٣ نوفمبر ١٩١٧ وقد بادرت تركيا إلى استغلال الفرصة فارسلت نص الاتفاق إلى الشريف حسين بن على ، وطالبته بالعودة إلى جانب العثمانيين بعد أن انكشف غدر الانجليز والفرنسيين للعرب ، وعقد صلح بين العرب والترك .

وبعد أن وصل نبأ الاتفاق إلى الشريف حسين ظهر عليه الاضطراب والانفعال ، وطلب تفسيرا له من المندوب السامى البريطانى الذى عمد إلى التضليل فلم يؤكد صحة ما اذيع حول الاتفاق أو ينكره بل اقنع الشريف حسين بأن هذا الاجراء من جانب تركيا مثالا جديدا للدسائس بينهما غايته اثارة النفور بين العرب والحلفاء [١] وأن كل مافى الامر ان " الوثائق التى وجدها البلاشفة فى وزارة الخارجية فى بتروجراد لاتؤلف اتفاقية عقدت بالفعل ، ولكنها تسجيل لرسائل ومحادثات مؤقتة تبودلت بين بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وانها اجريت فى الأيام الأولى للحرب وقبل الثورة العربية [٢]

ونتيجة لذلك استمر الحسين فى تأييده لبريطانيا وحلفائها ضد الدولة العثمانية، معتقدا أن بريطانيا ستقف بجانبه إلا أن الامور قد اتضحت له بعد ذلك خاصة وان بوادر النصر بدأت تلوح فى جانب الحلفاء وهكذا كانت اتفاقية سايكس بيكو طعنة أليمة وجهتها بريطانيا إلى العرب الذين وقفوا بجانبها خلال محنتها.

تصريح بالفور :

لم تكن اتفاقية سايكس بيكو هى الطعنة الوحيدة التى وجهتها بريطانيا للعرب، بل وجهت اليهم طعنة اخرى تمثلت فى تصريح بالفور عام ١٩١٧ والذى وعد فيه اليهود بمساعدتهم على اقامة وطن قومى لهم فى فلسطين العربية ونص هذا التصريح عبارة عن خطاب موجه من وزير الخارجية البريطانى "آرثر جيمس بالفور" إلى اللورد روتشيلد يقول فيه "إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أنه يفهم بوضوح انه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى يتمتع بها الطوائف غير اليهودية

---

[١] انطونيوس : المرجع السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

[٢] G. Antonius , The Arab Awakening p. ٢٥٧.

االمقيمة الآن فى فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى [1] ويرجع اصدار هذا التصريح إلى الآتى : -

١- زيادة حدة التنافس بين بريطانيا وفرنسا من أجل السيطرة على فلسطين، وتحول اتجاه الحكومة البريطانية من مجرد الاهتمام الودى بالصهيونية والتشجيع شبه الرسمى إلى ما يقرب من التعهد والالتزام، ومن أجل ذلك ظهر وعد بلفور الذى مكن الطريق امام بريطانيا بعد انتصارها فى الحرب للمطالبة بأن تكون فلسطين من حصتها فى الغنائم حتى تتمكن من تنفيذ ذلك الوعد وأدى إلى ترحيب الصهاينة باقامة حكم بريطانى فى فلسطين وتأييدهم الفعلى للانجليز حتى يتمكنوا من تحقيقه .

٢- جهود حاييم وايزمان chaim weizman زعيم الصهاينه فى بريطانيا واستاذ الكيمياء فى جامعة مانشستر فى الحصول على وعد من بريطانيا بتحقيق وطن قومى لليهود فى فلسطين اعترافا من القادة الانجليز له بخدماته العلمية فى تحضير مادة الاستون التى تدخل فى صناعة الذخائر والمتفجرات .

٣- رغبة الحلفاء فى كسب ود اليهود الألمان إلى جانبهم حتى يحصلوا منهم على الاسرار الحربية لألمانيا، ويقومون بدور المخرب والمناوىء لاعداء بريطانيا.

٤- رغبة الانجليز فى توسيع حدة المشاكل بين العرب حتى لا يتمكنوا من النهوض فى اعقاب الحرب، مما أثار الحيرة والفزع فى نفوس العرب الذين فسروا الوعد على انه بمثابة انكار لحرية العرب السياسية فى فلسطين ونقضا للعهود التى قطعها الانجليز لهم، كما رأوا فى هذا التصريح اعتداء على جزء من اراضيهم وسلب حقوق أهلها وتسليمه للصهاينة.

كل ذلك أدى الى صدمة عنيفة وتزايد الشعور بالعداء للانجليز.

أحوال العالم العربى السياسية أثناء الحرب وفى أعقابها :

حدثت الحرب العالمية الأولى في الوقت الذى كانت فيه معظم البلدان العربية واقعة تحت الحكم الاستعمارى فقد كانت بريطانيا تحتل عدن منذ عام ١٨٣٩ وتسيطر على مشيخات وامارات الخليج العربى هذا بالاضافه إلى قيامها باحتلال مصر في عام ١٨٨٢ وكانت فرنسا تحتل الجزائر منذ ١٨٣٠ وتونس منذ عام ١٨٨١ومراكش منذ عام ١٩١٢ وكانت ايطاليا تحتل ليبيا منذ عام ١٩١١ اما عن بلاد الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية فقد ظلت بعيدة حتى هذه الفترة عن الاستعمار الاوربى وان كان أهلها يئنون من نير الحكم التركى، ويعملون على التخلص منه، ونيل استقلالهم وبعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء على المانيا وحلفائها خرج الاتراك من بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية، وتأهبت قوات الثورة العربية للامساك بزمام الامور، فدخلت القوات العربية دمشق في ٣٠سبتمبر ١٩١٨وأعلنت فيها الحكومة العربية [2] ولكن انجلترا وفرنسا كانتا تبيتان للعالم العربى غير ماكان يتمناه، ولما كان مصير البلاد العربية بعد الحرب لايمكن تقريره إلا في مؤتمر الصلح المنعقد في فرساى فقد وصل زعماء العرب ومنهم الأمير فيصل بن الحسين الى هناك وظل يعلق الامال على تحقيق المطالب العربية في مؤتمر الصلح، والدفاع عن مصالح الأمة العربية

---

[1] مسى: تصريح بلفور ص٩٨ - ٩٩ .

[2] للتفاصيل انظر حيرية قاسمية : الحكومة العربية في دمشق ، بيروت ١٩٨٢ص٤٦ .

العرب ومؤتمر الصلح :

وصل الأمير فيصل بن الحسين إلى باريس في يناير ١٩١٩ على رأس الوفد الحجازى في مؤتمر الصلح فوجد أن هناك ثلاث عقبات تعترض الأمانى العربية وهى:

١-اطماع بريطانيافى فلسطين والعراق

٢-أطماع فرنسا في سورية

٣- الأطماع الصهيونية في فلسطين

أمابالنسبه للجزيرة العربية فقد كانت تقريبا بمنأى عن هذه الأطماع اللهم حرص بريطانيا على الاحتفاظ بمحمياتها في الخليج وإلى جانب هذه العقبات فقد كان الفرنسيون لايريدون الاعتراف بالأمير فيصل بحجة انهم لم يعترفوا بالحجاز كدولةمستقلة، كماانهم يعترضون على تدخله في أمور البلاد السورية.ونظرا لتعقد الأمور سافر الأمير فيصل إلى لندن للبحث عن مخرج فاستقبل هناك بترحيب كبير، ولكنه فوجىء بأن اتفاق سايكس بيكو كان حقيقة وبأنه ليس في خيال الروس كما ردد الانجليز من قبل. وبعد مشاورات ومداولات سمح للأمير فيصل بدخول مؤتمر الصلح، وحجز مقعدين للحجاز فشارك بمذكرة وجهها إلى اعضاء المؤتمر طالب فيها الاعتراف باستقلال وسيادة الشعوب العربية القاطنة في آسياواستند في ذلك إلى مبادىء الرئيس الامريكى ولسون في حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها كما اعترض على مشروع تقسيم البلاد العربية ووصف الانتداب عليها بأنه مخل بالأمن العام في الشرق كله وطالب بتعيين لجنة امريكية بريطانية فرنسية وعربية للنظر في المسائل المتعلقة بالجلاء ، واستطلاع رأى الأهالى ورغباتهم حول تقرير مصيرهم [١]

وقد وافق المؤتمر على اقتراح فيصل بارسال لجنة دولية إلى بلاد الشام ، ونظرا لرفض فرنسا وبريطانيا الاشتراك في هذه اللجنة ، وتحمس الرئيس الامريكى " ولسن " لها أرسلت الحكومة الامريكية لجنة " كنج كراين [٢] " للتعرف على رغبات العرب ومطالبهم . وقد بدأت اللجنة أعمالها فدخلت دمشق واجتمعت بذوى الشأن فيها ، كما اخذت في استقصاء الامر ، فوجدت أن هناك شبه اجماع على طلب الاستقلال . وخلال ذلك وتأكيدا للرغبة في استقلال بلاد الشام عن النفوذين الفرنسى والبريطانى تقدم بعض زعماء الشام باقتراح الى الأمير فيصل مؤداه تشكيل مجلس وطنى واجراء انتخابات عامة حتى يثبت السوريون أمام اللجنة الامريكية أمانيهم وآمالهم لتقدمها اللجنة الى مؤتمر السلام [٣] . ونتيجة لذلك اجتمع فى دمشق في مارس ١٩٢٠ المجلس الوطنى الذى أصبح يعرف بالمؤتمر السورى العام والذى أصدر عدة قرارات تتركز في :-

١-اعلان استقلال سوريا ولبنان والأردن كدولة واحدة على أن يكون نظام الحكم فيها ملكيا دستوريا ، وتنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكا عليها .

٢- اعلان استقلال العراق والمناداة بالأمير عبد الله بن الحسين ملكا عليها .

٣- رفض اتفاقية سايكس بيكو ، ووعد بلفور وكل مشروع يهدف إلى تقسيم بلاد الشام وانشاء دولة يهودية في فلسطين .

---

[١] ذوقان قرقوط : المشرق العربى في مواجهة الاستعمار قراءة في تاريخ سوريا المعاصر ص٥٨.

[٢] نسبه إلى هنرى كنج ، وشارلس كراين .

[٣] كامل الغزى : نهر الذهب في تاريخ حلب حـ٣ دمشق ، ص٥٧٣ .

٤- رفض نظام الانتداب الذى يعطى لبريطانيا وفرنسا حق الوصاية السياسية على البلاد العربية .

٥- مناشدة الرئيس الأمريكى ولسن بالوقوف في وجه الممارسات الاستعمارية ضد البلاد العربية .

وعلى الرغم من ذلك فان هذه القرارات لم تأت بالنتائج المرجوة خاصة وأن الجيوش الانجليزية كانت تحتل العراق وفلسطين ، كما كانت تسيطر الجيوش الفرنسية على شواطىء الشام ، وإلى جانب ذلك فان قرارات لجنة كنج كراين بعدالة الأمانى القومية للعرب ، وتوصيتها بوحدة سورية تحت رئاسة الأمير فيصل قد ذهبت ادراج الرياح وأخذت كل من انجلترا وفرنسا فى تدبير المؤامرات لسلب العرب حقوقهم والمساومة على اقتسام سورية والعراق فيما بينهما [1] فابلغت الحكومة الانجليزية الأمير فيصل باتفاقها مع فرنسا وطالبته بالسفر إلى باريس لمشاورة الحكومة الفرنسية في المطالب العربية ، وقد قابل الأمير فيصل الرئيس الفرنسى كليمنصو ، وعقد معه اتفاقا عارضه أهالى الشام وواجهوه بثورة عارمة . ولما لم يجد الحلفاء بدا من كشف النقاب عن مؤامرتهم ومصارحة العرب بما يدور فيما بينهم اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء في " سان ريمو " في ٢٥ ابريل ١٩٢٠ وقرر وضع العراق تحت الانتداب البريطانى ، بالاضافة إلى فلسطين مع تنفيذ وعد بلفور ، وكذلك وضع سورية ولبنان تحت النفوذ الفرنسى مما أدى إلى استياء الشعور العربى ، وازدياد الكراهية للدول الأوربية .

وهكذا أنشب الانجليز والفرنسيين مخالبهم في العراق والشام هذا بالاضافة إلى نكث بريطانيا بوعودها للمصريين فانكرت عليهم حقهم في الحرية والاستقلال بعد أن اعترف مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر . وبذلك دخل العرب مرحلة جديدة من تاريخهم تتسم بالكفاح ضد الاستعمار الأوربى وأطماعه .

---

[1] نجيب الأرمنازى : سورية من الاحتلال حتى الجلاء ، بيروت ص١١ .